مقدمـــة

لقد بذلت قصارى جهدى منقبا عن موضوع مناسب أتقدم به لنيل درجـة الدكتوراة ، وقد وقع اختيارى على دراسة موضوع يتصل بالحياة الأدبية فى بيئـة من البيئات ، واستشرت استاذى الجليل الدكتور حسين نصار فى ذلـــك ، فشجعنى على السير فى الطريق ، وطلب منى أن أحدد البيئة التى سأدرسهـا ، فاخترت بيئة الشام باعتبارى أحد أبنائها الذين يجب عليهم أن يدرســـوا تاريخها الأدبى والفكرى على مدى العصور المختلفة . ومما شجعنى على ذلك أيضا ، أننى كنت قد درست الحياة الأدبية فى بلاط سيف الدولة من خـــلال دراستى " أبا فراس الحمدانى " ، ومن خلال الإعداد لتلك الدراسة السابقة ، تعرفت الى عدد من الشعراء لم أسمع بهم من قبل ، ومنهم : ابن حيوس الدمشقى ، وابن ابى حصينة المعرى ، وابن الخياط الدمشقى ، وأبو اسحاق الغـــزى ، وعبد المحسن الصورى ، وغيرهم . وقد عاش هؤلاء جميعا فى القرن الخامـــس الهجرى ، وبدايات القرن السادس ، وحاولت أن أبحث عن هؤلاء الشعراء فلـم أجد من أنصفهم وكتب عنهم ، كتابه توفيهم نصيبهم من البحث . وقد شجعـــنى ذلك على اختيار تلك الفترة بالذات ، وهى القرن الخامس الهجرى ، فالحيـــاة الأدبية فى القرن الرابع قد دُرست دراسات متعددة ، والحياة الأدبية فـــى القرنين السادس والسابع دُرست فى رسالة قدمت لجامعة القاهرة ، وبذلك بقيت دراسة الحياة الأدبية فى الشام مبتورة لأنها لم تدرس فى القرن الخامس الهجرى ، وقد كان هذا من أهم الدوافع التى حدت بى الى تحديد تلك الفترة بالذات .

ومن الجدير بالقول أننى لم أتبع تحديداً زمنياً صارماً يبتدئ بعام ٤٠٠ هـ وينتهى بعام ٥٠٠ هـ ، فإن بعض الشعراء استمروا فى انتاجهم مع بدايـــات المائة السادسة للهجرة ، ومنهم : ابن الخياط ، وأبو اسحاق الغـــزى ، حيث توفى أولهما عام ٥١٧ هـ ، وثانيهما عام ٥٢٤ هـ . وقد حاولت قصـــارى جهدى أن أركز ، فى البحث ، على الشعر الذى قيل فى المائة الخامسة ، كمـــا حاولت الإقلال من الاستشهاد بشعر المائة السادسة . وقد ساعدنى على ذلك تحديد تأريخ عدد من القصائد ، وخاصة عند " ابن الخياط " .

أما ما قيل قبل المائة الخامسة ، فقد قللت من الاستشهاد به كذلـك ، فأبو العلاء المعرى قال معظم أشعاره فى سقط الزند خلال المائة الرابعـــة ،

ولذلك لم أجعل دراسة تلك الأشعار جزءاً من هذه الدراسة ، وذلك باستثناء بعض قصائد سقط الزند التي قالها بعد رجوعه من بغداد الى المعرة ، واعتزاله الدنيا وناسها ، وهي مما يُدرس في صلب هذه الدراسة ، ولا يعني هذا أنني لم أدرس الشعر الذي أنشأه شعراء الشام قبل المائة الخامسة أو بعدها ، فقد درست سقط الزند ، ليعينني على فهم شعر أبي العلاء وتطوره زمنياً وموضوعياً وفنياً ، كما درست الشعر الذي قاله ابن الخياط والغزي في المائة السادسة للغرض ذاته ، واستعنت بتلك النصوص الشعرية في تحديد معالم الفترة التي أدرسها ، ذاتيا ، وأدبيا ، وفكريا .

قامت هذه الدراسة على منهج حاولت فيه أن أتتبع الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري ، وكل ما يتصل بها من مؤثرات ، وذلك لتشخيص تلك الحياة وتوضيحها بجلاء .

وصنفت هذه الدراسة في بابين ، تناولت في أولهما الشعر موضوعيا وفنيا ، وتناولت في ثانيهما النثر موضوعيا وفنيا كذلك ، كما تناولت في الباب الثاني دراسة النقد الأدبي عند ابي العلاء المعري ، وابن سنان الخفاجي ، وقد قدمت لذلك كله بتمهيد موجز تحدثت فيه عن بعض معالم الحياة الادبية والفكرية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري .

وقد حاولت في دراسة الشعر أن أوازن بين شعر شعراء الفترة التي أدرسها ، من خلال دراستي الموضوعية والفنية للشعر في الشام آنذاك ، ولكنها موازنات موجزة ، كما حاولت الموازنة بين أبي العلاء وأبي الطيب في بعض المجالات ، حيث تأثر أولهما بثانيهما تأثرا جليا ، وبخاصة قبل المائة الخامسة ، واستمر ذلك التأثر في المائة الخامسة ، ولكنه كان بصورة أقل ، وقد جاءت الموازنة بينهما موجزة كذلك ، فالموازنه التفصيلية بينهما تحتاج بحثا آخر أو أكثر .

ومن الجدير بالاشارة أنني لم أُعن بترجمة حيوات الشعراء والكتاب في هذه الدراسة ، وذلك لانني وجدت أن ذلك لن يضيف الى الدراسة شيئا مهما بعد أن درست أدب اولئك الشعراء والكتّاب ، فلن يبقى بعد ذلك سوى سرد مراحل حياتهم تاريخيا ، وهو ما نجده في العديد من المصادر الأدبية والتاريخية ، دون جهد ، واذا ما فعلت ذلك ، فلن أبذل فيه جهدا يذكر ، ولن يزيد عملي على سرد تاريخي في الغالب .

كان جل اهتمامي بالنصوص الأدبية ذاتها ، محاولا دراستها والنفاذ الى مقاصدها وأغراضها ، وهي نصوص مختلفة ، تمثل جزءً منها في دواوين شعراء تلك الفترة ، وهم : أبو الحسن التهامي ، وعبد المحسن الصوري ، وابن أبي حصينة المعري ، وأبو العلاء المعري ، وابن سنان الخفاجي ، وابن حيوس الغنوي الدمشقي ، وابن الخياط الدمشقي ، وأبو اسحاق الغزي ، هذا بالاضافة الى النصوص الشعرية الأخرى لعدد من الشعراء المغمورين ، وهم كثر ، ونجد الكثير منها في " دمية القصر " و " خريدة القصر " ـ قسم شعراء الشام .

وتمثل الجزء الآخر من تلك النصوص الأدبية في آثار كتّاب الشام في القرن الخامس ، من أمثال : ابن سنان الخفاجي ، وابن أبي الشخباء العسقلاني ، وأبي العلاء المعري ، وقد كانت تلك النصوص كتبا كسر الفصاحة ، والفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ ، ومعجز أحمد ، وذكرى حبيب ، وعبث الوليد ، ورسائل كرسائل أبي العلاء ، وابن أبي الشخباء .

ومن الجدير بالقول أن كثيرا من تلك النصوص وجدته مخطوطا ، فمن الدواوين الشعرية المخطوطة نسخة من ديوان التهامي ، وديوان عبد المحسن الصوري ، فقد طلبت نسخة منه من المجمع العلمي العراقي ، والمختار من زهديات لزوم مالا يلزم ، وديوان ابي اسحاق الغزي الذي لم ينشر منه الا حوالي الف بيت ، وقد نشرها " رفيق الحليمي " مع بحث قدمه لجامعة عين شمس للحصول على الماجستير .

ووجدت الكثير من النصوص النثرية مخطوطا أيضا ، ومنها : رسالة الصاهل والشاحج ، وقطعة من رسالة الحروف ، ومعجز أحمد ، كما وجدت عددا من تلك النصوص في " جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام " .

وقد حاولت الاستعانة بالنصوص الشعرية الأخرى ممثلة في دواوين بعض الشعراء الآخرين ، الذين وجدت صلة بينهم وبين من أدرسهم من الشعراء والكتاب . وتنوعت المصادر والمراجع التي استعنت بها بين التاريخية والأدبية والنقدية والفلسفية والنفسية مخطوطها ومطبوعها ، قديمها وحديثها وذلك واضح من مراجعة قائمة المصادر والمراجع المثبتة في ختام هذا البحث .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى هذا البحث ، وأن أكون قد استطعت الوصول الى الغرض العلمى الموضوعى ، فذلك ما أروم ، فإن أصبت ، فبها ونعمت ، وان جانبنى الصواب فمعذرتى أننى مازلت طالب علم فى أول الطريق أترسم خطى من سبقنى من الباحثين ، وأفيد من علمهم ، والله من وراء القصد .

وفى الختام لا يسعنى الا أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذى الجليل الدكتور حسين نصار الذى منحنى الكثير الكثير من علمه ووقته ، والذى رعى هذا البحث قبل أن يبزغ الى النور الى أن بدا على الصورة التى ترونها ، فإليه يعود الفضل كل الفضل فى هذا البحث ، فله منى جزيل التقدير والتجلة والعرفان .